العرب
الجمعة 2019/08/09
السنة 42 العدد 11433

خمسون دولارا... ثمن عينك في غزّة!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس هناك ما يدلّ على مدى التدهور الفلسطيني على كلّ صعيد أكثر من صورة. ظهر في تلك الصورة المستفزّة عشرات الفلسطينيين من الجرحى والمعاقين الذين أصيبوا في ما سمّي "مسيرة العودة الكبرى" التي كانت وراءها حركة "حماس". كان هناك الأعمى والمصاب بشلل وذلك الذي تعرض إلى إصابة جعلت منه معاقا دائما. جمعت "حماس" كلّ هؤلاء في غزة في لقاء تحت عنوان كبير: "توزيع 50 دولارا مكرمة عيد الأضحى المبارك".

من أجل خمسين دولارا، تحصل عليها في مناسبة قرب حلول عيد الأضحى تفقد عينك أو رجلك أو يدك، أو تسير على عكازين أو على كرسي نقال. هل هذه نهاية الشعب الفلسطيني الذي تحوّل وقودا لحركات متخلّفة تنشر ثقافة الموت على شاكلة "حماس" وغيرها؟

يمكن قول الكثير عن ياسر عرفات وعن الأخطاء التي ارتكبها، خصوصا في لبنان وقبل ذلك الأردن، ثمّ بعد عودته إلى رام الله في العام 1994 بعد توقف في غزّة. لكنّ ما لا يمكن تجاهله أنّه كان يفكّر دائما بالتعليم وفي عدد خريجي الجامعات من الفلسطينيين في مختلف أنحاء العالم. كانت لديه لائحة تضمّ عدد المهندسين والأطباء والمحامين والناجحين في ميادين معيّنة من أبناء الشعب الفلسطيني الذي كان يمتلك مشروعا وطنيا أوصله إلى أبواب القدس. من كان يحلم يوما بأنّ "أبوعمّار" سيعود يوما إلى أرض فلسطينية ويدفن فيها لو لم يمتلك في مرحلة معيّنة فكرا براغماتيا وعمليا وواقعيا أوصله إلى توقيع اتفاق أوسلو الذي لم يستطع البناء عليه؟

تختزل صورة «مكرمة» الخمسين دولارا الكثير. تقول الصورة ما لا تقوله ألف صورة أخرى عن نجاح «حماس» في تغيير طبيعة المجتمع الفلسطيني وتحويله إلى مجتمع ذليل ثمن العين فيه، أو الإعاقة الدائمة، 50 دولارا

يعود ذلك إلى أسباب فلسطينية وأخرى مرتبطة بالتعنت الإسرائيلي. لكنّ الأهمّ من ذلك كلّه كانت العمليات الانتحارية لـ"حماس" التي أدّت إلى تغيير طبيعة المجتمع الإسرائيلي تغييرا جذريا نحو مزيد من التطرّف والرغبة في استمرار الاحتلال...

الأكيد أن ما تقوم به "حماس" لا يقتصر على خدمة الاحتلال الإسرائيلي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى رغبة في تغيير طبيعة المجتمع الفلسطيني أيضا. يحصل هذا التغيير نحو الأسوأ وذلك كي تصبح غزّة مجرّد "إمارة إسلامية" لا مكان فيها سوى للجهل والتخلّف والتزمّت على كلّ صعيد.

إذا كشفت الصورة، التي ظهر فيها فلسطينيون يتسلمون 50 دولارا "مكرمة" في مناسبة قرب حلول عيد الأضحى شيئا، فهي كشفت الحال المزرية للمجتمع الفلسطيني في غزّة. لم يعد هناك مكان للمنطق ولا لكلمة حقّ تقال ولا لسؤال من نوع كيف يمكن للصواريخ التي في غزّة لعب دور في تحرير أي أرض فلسطينية؟

كانت "مسيرة العودة الكبرى" مهزلة المهازل. أرسلت "حماس" العام الماضي آلاف الفلسطينيين في اتجاه الأراضي الإسرائيلية، التي هي أراضي فلسطين التاريخية. طلبت من هؤلاء اقتحام الحدود. كان الرد الإسرائيلي وحشيا إلى أبعد حدود، وأسفر عن مقتل العشرات وإصابة المئات بجروح. في الواقع، لم يكن من هدف لتلك المسيرات التي شكلت "مسيرة العودة الكبرى" سوى تكريس ثقافة الموت في المجتمع الفلسطيني وترسيخها. لم تعد لدى المجتمع الفلسطيني قيمة للإنسان. صار الهدف تأليه الموت بعيدا عن كلّ ما له علاقة بالفكر العقلاني من جهة، والسعي إلى الاستفادة من الواقع من جهة أخرى.

تعني الاستفادة من الواقع أوّل ما تعنيه الاعتراف بأنّ إسرائيل انسحبت من كلّ غزّة في مثل هذه الأيّام من العام 2005. كان في الإمكان التعاطي مع هذا الانسحاب بما يؤكّد أن الفلسطينيين قادرون على بناء دولتهم المستقلّة القابلة للحياة والردّ بذلك على الشعار الذي رفعه آرييل شارون وقتذاك عن أن "لا وجود لشريك فلسطيني يمكن التفاوض معه". كلّ ما فعلته "حماس" التي ما لبثت أن نفذت انقلابا جعلها تسيطر كلّيا على غزة منتصف العام 2007 هو دعم وجهة نظر شارون.

أكثر من ذلك، عملت "حماس" كلّ ما تستطيع من أجل فصل غزّة عن الضفّة الغربية بهدف إقامة كيان فلسطيني يتحكّم به الإخوان المسلمون...

بدل العمل على تقديم صورة حضارية عن الشعب الفلسطيني، لجأت "حماس" إلى إطلاق الصواريخ التي وفّرت حجة لفرض حصار إسرائيلي على غزّة. مع مرور الأيّام، يتبيّن أن هذا الحصار مصلحة مشتركة تجمع بين إسرائيل و"حماس".

يستفيد من هذا الوضع شخص مثل الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان انضمّ إلى "محور الممانعة" الذي تتزعمّه إيران والذي لا همّ له سوى المتاجرة بالقضيّة الفلسطينية. ليست التمثيلية التي خطّط لها أردوغان في العام 2010 عندما أرسل سفنا تحمل مواد غذائية بهدف فك الحصار عن غزّة سوى دليل على انضمام تركيا إلى جوقة المتاجرين بمأساة الشعب الفلسطيني.

تختزل صورة "مكرمة" الخمسين دولارا الكثير. تقول الصورة ما لا تقوله ألف صورة أخرى عن نجاح "حماس" في تغيير طبيعة المجتمع الفلسطيني وتحويله إلى مجتمع ذليل ثمن العين فيه، أو الإعاقة الدائمة، 50 دولارا!

مؤسف أن تكون "حماس" حققت في السنوات الأخيرة كلّ هذا النجاح الذي لا يصبّ سوى في خدمة إسرائيل التي لم تكلّف نفسها حتّى عناء الردّ على إعلان السلطة الوطنية الفلسطينية وقف العمل بالاتفاقات بين الجانبين. مثل هذا الكلام عن وقف العمل بالاتفاقات من النوع المضحك – المبكي ويكشف في الوقت ذاته أنّ السقوط الفلسطيني لا يقتصر على غزّة فقط. يكفي التساؤل كيف يمكن للرئيس الفلسطيني محمود عبّاس الخروج من رام الله وزيارة عمّان، على سبيل المثال، من دون تسهيلات مرور إسرائيلية؟ إن تسهيلات المرور هذه لا تقتصر الاستفادة منها على "أبومازن" وأفراد عائلته، بل تشمل أيضا كبار المسؤولين الفلسطينيين الذين عليهم الاتصال بمكتب خاص إسرائيلي في كلّ مرّة يريدون مغادرة الأراضي الفلسطينية أو الدخول إليها. لا داعي بالطبع إلى التطرّق إلى أن أيّ طفل فلسطيني يولد في الضفّة الغربية يجب إدخاله السجلات الإسرائيلية لأسباب عملية وذلك في إطار الاتفاقات بين الجانبين.

في ظلّ حال الجمود التي تسمح لإسرائيل ببناء مزيد من المستوطنات في الضفّة الغربية وفي ظلّ الصمت الأميركي، بل الموافقة الأميركية، على تمدّد الاحتلال الإسرائيلي، تظلّ "حماس" بفكرها الإخواني الحليف الأوّل لليمين الإسرائيلي الذي أنعشته عملياتها الانتحارية التي تلت مباشرة توقيع اتفاق أوسلو في خريف العام 1993... قبل ما يزيد على ربع قرن.

تقول صورة الماضي الفلسطيني، التي كان يظهر فيها شاب درس في أكبر جامعات العالم وأكثرها رقيّا، بما في ذلك الجامعة الأميركية في بيروت، الكثير عن الآمال التي كان يعلقها الفلسطينيون على جيلهم الجديد. في المقابل، تعكس صورة الفلسطيني الذي ينتظر "مكرمة" الخمسين دولارا حال التدهور التي أصابت إحدى القضايا القليلة التي لا يزال يشرّف الإنسان الوقوف إلى جانبها في العالم. ولكن ما العمل في منطقة انتصرت فيها ثقافة الموت على ثقافة الحياة ليس في فلسطين وحدها، بل في لبنان أيضا؟

واحد ينام في مخدع أحلام الآخر

علي الصراف
كاتب عراقي

ما الذي يجعل بريطانيا تتواطأ مع تنظيمات الإخوان المسلمين؟ سؤال معلق، رغم أنه رهن بجواب واحد.

وما الذي يجعل قطر تدعم هذه التنظيمات؟ سؤال مماثل. ولم يتوفر له إلا جواب واحد أيضا. والجوابان فضيحة بجلاجل. ولكنهما يكشفان مشهدا شديد الإثارة.

الإخوان الذين نشأوا كأعداء للحركة الوطنية المصرية، رأت فيهم بريطانيا الاستعمارية خير عون لها ضد دعاة الاستقلال. فدعمتهم بالمال، قبل أن تمدهم بالسلاح.

التواطؤ ظل يتواصل على أمل بأن تستعيد بريطانيا مكانتها في مصر وبقية دول المنطقة. ولئن مرت في النهر مياه كثيرة، فالحقيقة هي أن الإمبراطوريات لا تنسى خدمها حتى ولو فضحتهم الأيام.

لا توجد إلا حقيقة ساطعة واحدة أثبتت للأعمى والبصير أن هذا التنظيم مولّد لثقافة العنف. وعندما أراد برلمان التواطؤات الاستعمارية أن يتيقن مما يعرفه الجميع، فقد أجرى تحقيقا توصل إلى السر المكشوف نفسه. إلا أن الإمبراطورية، بمشاعرها الباروكية حيال الخدعة، عادت فاختارت التواطؤ، وامتنعت عن تصنيف تنظيم الإخوان كحركة إرهاب.

لماذا؟ لأن أحلام الاستعمار لا تزال تدغدغ المخادع. ولأعراض تشبه المرض المستعصي، لا تزال بريطانيا تنظر إلى معركة الاستقلال بأنها لم تنته بعد.

ولا يوجد سر في أن قطر تدعم تنظيمات الإخوان المسلمين. كما لا يوجد سر في أن تنظيمات الإرهاب كلها تخرجت من رحم الإخوان. أكثر من ذلك، لا يوجد سر في أن خطاب هذه التنظيمات، مجتمعة، يستند إلى المرجعيات الفقهية ذاتها. وسواء تلبّس بعضها ثوب الاعتدال المزعوم، أو ثوب التطرف والدعوة إلى حمل السلاح، فإنها تستند إلى ثقافة عنف وتكفير واحدة.

توظيف البنوك التابعة لقطر، في الخارج كما في الداخل، لتمويل جماعات التطرف ليس سرا أيضا. وبنك الريان، ومثله بنك الدوحة، ليس سوى واحدة من تلك المؤسسات ذات الغطاء الإسلامي، التي تبدو في الظاهر وكأنها تمارس نشاطا مشروعا، إلا أن توظيفات هذا النشاط تتسرب على نحو موارب وغير موارب لتمويل ذلك الخطاب نفسه.

القصة كلها مفضوحة. وهي ليست جديدة أبدا. إنها مشروع قديم، وغاياته أبعد من أن تكون مجرد غايات صغيرة، أو حقيرة.

الإخوان المسلمون هم القوة الوحيدة التي أثبتت قدرتها على تفجير الدولة، كمؤسسة ونظام، وتفجير المجتمع في آن معا. إنه هو بالضبط "مشروع إدارة التوحش" الذي كتبه أبوبكر ناجي ليشكل جوهر المشروع الداعشي.

واحد ينام في مخدع أحلام الآخر: قطر تدفع المال، وبريطانيا تنصب الديكور، في مسرح يشرف على التوحش فيه أدعياء يتلبسون ثياب الاعتدال. إنها دعارة مخلصة مع النفس. تُمارس على رؤوس الأشهاد لمتعة المشهد

والجوهر واحد. ذلك أن تفجير المجتمعات، بتمزيقها على أسس طائفية، وتكفير أجزاء منها، وسفك الدماء في ما بينها هو السبيل الوحيد لكي تشعر إسرائيل بالطمأنينة بأن الدول التي كانت تهدد وجودها، والمجتمعات التي لا تزال تمحضها الرفض، قد تحولت إلى هباء، وغرقت بدم أحدها الآخر.

قطر إنما تدعم تنظيمات الإخوان وتدفع الأموال عن طريق بنوك مثل الريان، لتحقيق هذا الهدف بالذات. وهو هدف مكشوف بدرجة مثيرة للدهشة.

حتى أعتى الصهاينة ما كان بوسعهم أن يحلموا بمشروع أفضل من مشروع الإخوان وتوابعه لتدمير محيط إسرائيل وتمزيق الفلسطينيين أنفسهم أيضا.

وإسرائيل تتطرف وتتنكر لأبسط الحقوق الفلسطينية، ولكن هل تعرف لماذا؟ لأن مشروع التفتيت الطائفي الذي أغرقنا في الفشل، لم يُبق أمامها أحد.

إنها تسأل نفسها اليوم: لماذا نتنازل؟ ولمن؟

الذين كتبوا "استراتيجية إسرائيل في الثمانينات" من وراء عوديد يمنون، الموظف في وزارة الخارجية الإسرائيلية، وجدوا أخيرا من يمول لهم المشروع، ليجعلوا من إخوان مصر وسوريا، وأشباههم في العراق وتونس واليمن، أدوات لأعمال الإرهاب ولتمزيق المجتمعات والدول. و"إدارة التوحش" لم تكن إلا الفصل الثاني لتلك الاستراتيجية.

واحد ينام في مخدع أحلام الآخر: قطر تدفع المال، وبريطانيا تنصب الديكور، في مسرح يُشرف على التوحش فيه أدعياء يتلبسون ثياب الاعتدال.

إنها دعارة مخلصة مع النفس، تمارس على رؤوس الأشهاد، لمتعة المشهد.

في تعريف الفساد.. في تعريف الخيانة

علي قاسم
كاتب سوري

ترمل النساء وتيتم الأطفال وبكاء الأمهات الثكالى، لا يجعل من السلطان سليمان القانوني حاكما فاسدا. وهو الذي أوصى عندما يموت أن يخرجوا يده من التابوت، لكي يرى الناس أنه، حتى السلطان، خرج من هذه الدنيا ويده فارغة.

وفي العراق الذي يحتل المراتب الأولى في قائمة أكثر الدول فسادا إداريا وماليا، منذ سقوط النظام العراقي عام 2003، يخرج علينا من يفتي بتعليق صورة الرئيس العراقي السابق، صدام حسين، مكبل اليدين في قاعتي مجلسي النواب والوزراء، كي يعرف المسؤولون أن السلطة والظلم والسرقة لا تدوم.

السيد، كاظم الصيادي، وأنت نائب في البرلمان العراقي، وصاحب الاقتراح العبقري، لا يخفى عليك حتما أن العراق حل عام 2017 في المركز 169 بين 180 دولة على مؤشر الفساد، الذي تنشره منظمة الشفافية الدولية.

وبلغ أعلى درجة له في الفساد في عام 2007، ليأتي بالمرتبة 178، ويؤمن كثير من العراقيين اليوم أنهم يعيشون في أكثر دول العالم فسادا. حيث أقرت هيئة النزاهة المرتبطة بالبرلمان، الذي تشغل مقعدا فيه، بأن العراق فقد بسبب الفساد الحكومي، نحو 320 مليار دولار في السنوات الـ15 الماضية.

أن يكون صدام حسين دكتاتورا، هذا أمر لا نختلف عليه، رغم أن البعض يرى فيه "دكتاتورا رائعا". وأن نرى في غزوه الجارة الكويت خطأ فادحا، أيضا أمر، هو الآخر، لن نختلف عليه.

صدام حسين، ارتكب الكثير من الأخطاء، وإن ارتكبها وهو يظن أنه ارتكبها على صواب. كل من يتعاطى العمل السياسي عرضة لارتكاب الخطأ، لأن قرارهم وهم يعلمون أنهم على خطأ، وأن الدوافع لغزو العراق مغبركة، باعترافهم بذلك لاحقا.

قبل أن نتابع دعونا نوضح أمرا منعا للالتباس. لسنا بصدد الدفاع عن صدام حسين، لأنه هو، لو قدر له أن يعود، لما دافع عن نفسه. ولكن لا بد من التأكيد أن صدام لم يُعدم لأنه فاسد. حتى وإن كان هناك فساد في العراق، في عهده، فهو فساد في السياسة كما في القضاء، كثيرا ما يُحسم الأمر بناء على الاجتهاد الشخصي أو المشورة الخاطئة.

على العكس من ذلك، جلادو صدام حسين اتخذوا متواضع، مقارنة بأرقام الفساد في عهد الذين شاركوا في إعدامه.

السيد الصيادي، أُعدمَ صدام، ولا ندري إن كان ذلك صدفة، في تاريخ يماثل التاريخ الذي طالبت فيه بتعليق صورته مكبلا. صدام حسين أعدم، ولا نظن أن أحدا ينسى التاريخ، في عيد الأضحى، ونحن اليوم على بعد يومين منه.

أعدم صدام حسين ويده فارغة، لم نسمع عن أرصدة لنظامه في البنوك الغربية، رغم ارتكابه للأخطاء طبعا. ماذا عن أياديكم أنتم، هل ستمتد بعد رحيلكم من التوابيت فارغة.. أشك بذلك.

يبدو أن للتاريخ منطقه الخاص في تقييم الأمور، ولكن هناك ثوابت أيضا، خاصة عندما يتعلق الأمر بخيانة الوطن.. أنت أدرى بتعريفها.

جنكيز خان، وتيمورلنك، ومعهما السلطان سليمان القانوني، ثكلوا النساء، ويتموا الأطفال. البعض يرى فيهم، همجا وقتلة وسفاحين، والبعض الآخر يرى فيهم أبطالا، وحده التاريخ قادر على أن يحكم عليهم، وهذا يحتاج إلى فسحة من الزمن، قد تمتد إلى ألف عام.. ولكن، سيد الصيادي، التاريخ لا يحتاج إلى وقت ليحكم على الخونة، فلتطمئن أو فلترتعب.